مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن

باي زكوب عبد العالي[1]

الملخّص

إنّ خطاب التغيير في الإسلام له مقوّماته ودعائمه ومرتكزاته، وهو خطاب يتّجه إلى الأمّة برمّتها لتغيّر ما بنفسها أوّلاً ثم لتغيّر ما بغيرها، وباستدعاء واقعنا المرّ لاحظنا أنّ الذين يتصدّرون للخطاب الإسلامي قد أسهموا عن قصد أو عن غير قصد في تغييب عالمية الإسلام، وتمييع ثوابته، وعدم الوعي بأحوال الواقع، والجهل بحقيقة الأعداء، والتصوّر السلبي للحياة، وغير ذلك مما أسهم في إيجاد أزمات وخلق عقبات في طريق التصحيح والبناء، لذا تكمن إشكالية البحث في افتقار من يتصدّرون للخطابة الإسلامية إلى مقوّمات ودعائم شرعية تسهم في ترشيد خطاب التغيير الإسلامي وإزالة اعوجاجه. لذا سعت الدّراسة إلى بيان المراد بمقومات خطاب التغيير الإسلامي، كما سعت أيضاً إلى بيان أهم مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي من منظور تفسير الظّلال للأستاذ سيد قطب، وقد كان المنهج التاريخي، والاستقرائي، والاستنباطي التحليلي أداتنا في هذا البحث، وقد توصّل البحث إلى أنّ مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي عند سيد قطب من خلال تفسير الظّلال تقوم على أساس العقيدة في الله التي منها ينبثق منهج الحياة الذي يشتمل العبادات والمعاملات، كما تجسدت مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي في تفسير الظلال من خلال المبادئ الآتية: العقيدة ينبوع كل التصوّرات، ثبات الشريعة الإسلامية واستمرارها، الإسلام منهج حياة شامل ومتكامل، الوسطية والتوازن، التصوّر الإيجابي للحياة، الواقعيّة الحركيّة، عالميّة الإسلام، ربّانيّة الأخلاق، القضاء الحاسم في مسائل الاعتقاد، التدرّج في معالجة الانحرافات السّلوكيّة، وتربية وعي المسلم بحقيقة الأعداء.

الكلمات المفتاحية: مقومات، خطاب، التغيير، الإسلامي، سيد قطب، في ظلال القرآن

[1] أستاذ مساعد، قسم القرآن وعلومه، كليّة العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية. <bey.zekkoub@mediu.edu.my>

Principles of Islamic Reform in Sayyed Qutb's Discourse in His Quranic Commentary *Fi Zhilal al-Quran*

Bey Zekkoub Abdelali

Abstract

The speech of change in Islam has its constituents, pillars and foundations. It is a speech to the entire nation to change itself first and then to change the others, by recalling our bitter reality, we noticed that those who lead the Islamic discourse contributed intentionally or unintentionally to the disappearance of the universality of Islam, the dilution of its infallibility, the lack of awareness of the reality, the ignorance of the reality of enemies, the negative perception of life and other factors that contributed in creating crises and creating obstacles in the path of correction and construction. so the problem of research consist in the lack of those who deliver Islamic discourse to the legitimacy pillars which contribute to the rationalization of the discourse of Islamic change and make it: a straight speech, moderate, wise, disciplined in all things etc. Therefore, the study aimed to indicate the meaning of the basic principles of the Islamic Change's Discourse. It also aimed to explain the most important basic principles of the Islamic Change's Discourse in in Sayyid Qutb's Tafsir Fi Zilal Al- Qur'an. The historical, inductive, and deductive analytical method has been our tool in this research. The research concluded that the basic principles the Islamic Change's Discourse in Sayyid Qutb's Tafsir Fi Zilal Al- Qur'an is based on the faith in Allah, from which emerges the way of life, which includes ethics and values, as well as situations and laws. Also the research concluded the following basic principles of the Islamic Change's Discourse in Sayyid Qutb's Tafsir: The faith is the fountain of all perceptions, The stability and continuation of Islamic law, Islam is comprehensive and integrated way of life, Moderation and Balance, Positive perception of life, Realism movement, The universality of Islam, the Behavioral ethics, The decisive elimination of the issues of belief and gradualism in the treatment of behavioral deviations, Awareness of the reality of enemies,

Keywords: The Basic Principles, Discourse, Change, Islamic, Sayyid Qutb, Fi Zilal Al- Qur'an

المقدمة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن اقتفى أثره ودان بدينه إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فالظّلال لون جديد في التّفسير، وإنّ مؤلّفه يقف في مقدّمة المفسّرين، ويعتبر مهندساً لمدرسة معاصرة وأصيلة في التفسير، إنّها مدرسة التّفسير التّربوي، ولقد رأى سيّد قطب ببصيرته الثّاقبة بعد انتهائه من تفسير القرآن الكريم، أنّه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة، إلاّ بالعودة بالحياة كلّها إلى منهج الله وحده الذي رسمه للبشريّة في كتابه العظيم وسنّة نبيّه الكريم، وإلاّ فهو الفساد في الأرض، والشّقاوة للنّاس، فكان ما كان من مواقفه الصّلبة في قضايا عصره المصيريّة، فأصرّ على موقفه في سبيل الله تعالى وهو رهين القيود، وطُلبَ منه أن يسطّر بقلمه كلمات اعتذار، فقال كلمته الإيمانية المشهورة التي انتهت باستشهاده: "إنّ إصبع السّبابة التي تشهد لله بالوحدانيّة في الصّلاة لترفض أن تكتب حرفاً تقرّ به حكم طاغية"[2]، وتفسير سيّد قطب هو عبارة عن موسوعة تعرَّض فيها لكافة فنون المعرفة والثقافة في ضوء القرآن، كما تعرَّض لمناهج الحياة في الإسلام، ولقد لقي تفسير سيّد قطب رواجاً كبيراً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لأنّ صاحبه يتحدّث عن مشروع إسلامي رشيد لإصلاح الأمّة، ولذلك فتفسيره ليس تفسيراً للقرآن فقط بل هو أكثر من تفسير حسب تعبير الخالدي[3].

إنَّه لمن الواضح جِدّاً أنّ الأمّة الإسلامية تواجه في هذا القرن تخلّفاً حضاريّاً، وكان من نتيجة هذا التخلّف عدم الثّقة في مقوّماتها الأساسيّة، وظهور التبعيّة الفكريّة والتربويّة للبلاد المتقدّمة حضاريّاً. لذا فإنّ الأمّة بحاجة إلى تجديد خطاب التغيير الإسلامي على أسس عقدية واضحة تنطلق من مرجعيّتها العقائدية والتشريعيّة والأخلاقيّة آخذة بالمعطيات التكميلية للتنمية الحضارية، وذلك من خلال الرّؤية التي قدّمها سيّد قطب في تفسيره في ظلال القرآن من خلال تكوينه التربوي وثقافته الإسلامية الواعيّة لأنّ "للقرآن في إرشاد البشر للمعرفة منهجاً علميّاً واقعيّاً بعيداً عن النّظريّات الجدليّة والفروض الظنيّة التي تختلف فيها العقول وتتعارض فيها الأفهام، وهو بهذا ينشد خير البشرية، ويجنّبها مزالق الأوهام[4]"، ولقد وجد الباحث بعض مقومات خطاب التغيير الإسلامي من خلال قراءته لتفسير الظِّلال.

---

[2] انظر: عزام، عبد الله، **سيّد قطب والقول بوحدة الوجود**، مجلة المجتمع، (الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي)، س 11، ع 526، أبريل 1981، ص 23، 25.

[3] انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الشهيد الحي**، ص 244.

[4] علي خليل أبو العينين، **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**، ص 41.

مشكلة البحث:

إنّ خطاب التغيير في الإسلام له مقوّماته ودعائمه ومرتكزاته، وهو خطاب يتّجه إلى الأمّة برمّتها لتغيّر ما بنفسها أوّلاً ثم لتغيّر ما بغيرها، وباستدعاء واقعنا المرّ لاحظنا أنّ الذين يتصدّرون للخطاب الإسلامي قد أسهموا عن قصد أو عن غير قصد في تغييب عالمية الإسلام، وتمييع ثوابته، وعدم الوعي بأحوال الواقع، والجهل بحقيقة الأعداء، والتصوّر السلبي للحياة، وغير ذلك مما أسهم في إيجاد أزمات وخلق عقبات في طريق التصحيح والبناء، لذا تكمن إشكالية البحث في افتقار من يتصدّرون للخطابة إلى مقوّمات ودعائم شرعية تسهم في ترشيد خطاب التغيير الإسلامي وإزالة اعوجاجه، وبما أن الباحث لم يقف على بحث مستقلّ تناول بالدراسة والتحليل هذا الموضوع، فكان لزاماً عليه أن يملأ هذا الفراغ المعرفي أو النقص العلمي باستخراج ما يتعلّق بالموضوع فيما أودعه سيد قطب في تفسيره، ثم صياغته على شكل دعائم رئيسة لتكون نبراساً لكل من يريد أن يتصدّر للخطابة الإسلامية.

أهداف البحث:

- بيان المراد بمقوّمات خطاب التغيير الإسلامي.
- بيان أهم مقومات خطاب التغيير الإسلامي المستنبطة من تفسير الظّلال لسيد قطب.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها محاولة للكشف عن أهم مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي من خلال تفسير الظّلال لسيد قطب، لتكون تلك المقوّمات بمثابة المسدّدات التي تسدّد الخطاب وتصوّبه، وتزيل اعوجاجه فتجعله خطاباً مستقيماً، معتدلاً، حكيماً، منضبطاً في كل أموره، كما يمكن أن يستفيد من نتائج الدراسة أهل التفسير والدعاة والمهتمين بخطاب التغيير الإسلامي، أيضاً تكمن أهمية الدراسة لافتقار البيئة الإسلامية بشكل عام إلى هذا النوع من الدراسات في حدود علم الباحث.

منهج البحث:

يعالج هذا البحث مادته بواسطة المنهج التاريخي للتعرّف على مسيرة سيد قطب، والجوّ الذي عايشه في مطلع القرن العشرين، وبواسطة المنهج الاستقرائي لاستقراء المواضع المتعلقة بالدّراسة، ثم بواسطة المنهج الاستنباطي التحليلي لاستخراج أهم مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي من خلال تفسير سيد قطب، ثم صياغة تلك المقومات على شكل خطوط عريضة لتكون بمثابة المسددات لخطاب التغيير الإسلامي.

الدراسات السابقة:

1. أجرى أبو فارس (1999م) دراسة حول منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب، هدفت إلى بيان منهج التغيير لدى الشهيدين من خلال نظرتهما وحكمهما على الأنظمة والمجتمعات ووسائل التغيير ومراحله، وما يعقب ذلك من بشارة وأمل في النصر والتمكين، توصلت الدراسة إلى أنّ كلاً من الشهيدين، قد كان يصدر من مشكاة واحدة، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنهما حددا بوضوح واتفقا بشكل جلي على مفردات منهج التغيير وأفكاره، من حيث الموقف من الأنظمة المعاصرة والحكم عليها والعمل على تغييرها ووسائل ذلك[5].

2. تناول محمود خليل أبو دف (2002م) معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن، استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، توصّلت الدراسة إلى أن سيد قطب اعتبر خروج الطبيعة الإنسانية عن ناموس الكون وانغماسها في الترف والتأثر بعوامل الجاهلية من أكثر العوامل المسببة في إفسادها وانحرافها، وقدم قطب مفهوماً جديداً للتغير الشامل الذي يتجاوز حد المجتمع إلى العالم بأسره، من خلال استبدال النظام الجاهلي بالنظام الإسلامي وفق عملية مدروسة ومتدرجة، كما أولى قطب اهتماماً بالغاً بالأسرة المسلمة كعنصر حيوي في المجتمع وأكّد على دورها التربوي الشامل والمتكامل الذي لا يمكن أن يستعاض عنه من خلال أي مؤسسة أخرى وقد حذر من إرهاق المرأة بالعمل خارج البيت، على حساب واجباتها تجاه تنشئة الأبناء واعتبر ذلك خسارة كبيرة وفادحة، واعتبر وجود الجماعة المسلمة يعد ضرورة شرعية، تتمثل في إقامة شرع الله في الأرض وقيادة البشرية، كما يشكل ضرورة تربوية تتجسد في كون هذه الجماعة، هي المسئولة عن تربية الفرد المسلم ورعاية الأسرة المسلمة ومن أجل ذلك كان لا بد من أن تتربى تربية أصيلة مستمدة من كتاب الله عز وجل[6].

3. تناول وجيه صبح محمود القيق (2006م) دراسة بعنوان: "معالم الفكر التربوي لدى سيد قطب من خلال كتاباته"، استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة من أبرزها:

---

[5] أبو فارس، محمد عبد القادر، **منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب**، (عمان: دار البشير).

[6] أبو دف، محمود خليل، **معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن**، (غزة: الجامعة الإسلامية).

– تشكلت شخصية سيد قطب التغييرية من خلال عوامل الدين والتربية والواقع الاجتماعي والتجربة السياسية.

– يقوم مفهوم التغيير التربوي عند سيد قطب على أساس استبدال المجتمع الجاهلي، بالمجتمع الإسلامي.

– إنّ التغييرات السلبية في واقع الأمة المسلمة المعاصرة ترجع إلى عدم إخلاص الألوهية والربوبية والأسماء والصفات لله عز وجلّ.

– إن الله ينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن لذلك يجب على الأمة أن تقيم حكم الله في الأرض وعلى أساس كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

– قدّم سيد قطب مفهوماً جديداً للتغيير الشامل الذي يتجاوز حد المجتمع إلى العالم بأسره.– تتمثل مجالات التغيير التربوي في إصلاح واقع الأمة، والذي ينطلق من إعادة بناء الإنسان في بلاد المسلمين بتصحيح معتقداته وقيمه وتصوراته ومفاهيمه وتعديل أنماط سلوكه.

– وجود الجماعة المسلمة يعد ضرورة شرعية، تتمثل في إقامة شرع الله في الأرض[7].

التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسة الحالية، تحديد واستنباط أهم مقوّمات خطاب التغيير التربوي لدى سيد قطب من خلال عرض بعض القضايا الهامة في تفسيره في ظلال القرآن، وهذا ما لم تفعله الدراسات السابقة باستثناء دراسة أبو فارس (1999) ودراسة أو دف (2002) ودراسة وجيه (2006) التي عالجت جوانب من منهج سيد قطب في التغيير، مع بيان مفهوم التغيير التربوي عند سيد قطب من خلال كتاباته، مما يؤكد على أن موضوع الدراسة جدير بالتناول لأنّه يركّز على مقومات خطاب التغيير التربوي لدى سيد قطب من خلال كتابه في ظلال القرآن.

المبحث الأول: سيّد قطب، حياته وعصره

المطلب الأول: حياته

هو سيّد بن الحاج قطب ابراهيم حسين شاذلي: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية موشا في أسيوط. عاش رحمه الله ستّين سنة في القرن العشرين الميلادي، حيث كانت ولادته سنة 1906م، وكانت وفاته سنة 1966م، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة 1934م، وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي: "الرسالة" و"الثقافة"، وعيّن مدرساً للعربية، فموظّفاً في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقباً فنياً للوزراة، وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا (1948م – 1951م)، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان

---

[7] القيق، وجيه صبح محمود، **معالم الفكر التربوي لدى سيد قطب من خلال كتاباته**، (غزة: الجامعة الإسلامية).

يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية، وبنى على هذا استقالته سنة 1953م، وانضّم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (1953م – 1954م)، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة 1966م. ولما وصل خبر استشهاده إلى الغرب أقيمت على روحه صلاة الغائب وأصدر أبو بكر القادري عدداً خاصّاً به من مجلة "الإيمان"، ولما كانت النكسة عام 1967م، قال علّال الفاسي: ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب، وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها: النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، والعدالة الاجتماعية في الإسلام، والتصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، والإسلام ومشكلات الحضارة، والسلام العالمي والإسلام، وهذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، ومعالم في الطريق، وفي ظلال القرآن[8]، وكتاب الظّلال هو أجلّ وأعظم كتب سيّد قطب رحمه، بدأ سيد كتابته على شكل مقالات في مجلة "المسلمون" 1952م، وانتهى من كتابته كتفسير مستقلّ وهو في السّجن سنة 1960م، وقد سدّ كتاب الظلال ثغرة كبيرة في المكتبة التفسيريّة، والذي أقبل عليه المسلمون في كلّ مكان إقبالاً خاصّاً، والذي تبوّأ به سيّد قطب مركز الرّيادة في عالم التفسير، وأسّس مدرسة تفسيرية أصيلة، هي: مدرسة التفسير الحركي[9] الدّعوي التّربويّ، وقد طبعته دار الشروق في ستة مجلدات كبيرة[10]، إلاّ أنّ سيّد قطب غيّر منهجه في الظّلال بعد ذلك، فأعاد كتابته بمنهجه الحركي الجديد من سنة 1960م إلى 1965م قبيل استشهاده إلى أن انتهى من إعادة كتابة الأجزاء الثلاثة عشر الأخيرة، وكان ينوي أن يعيد كتابة الأجزاء السّبعة عشر الباقيّة، على منهجه الحركيّ الجديد، وإن كان قد قال معظم ما يريد قوله في تلك الأجزاء، ولكن الطّغاة عجّلوا باعتقاله وتعذيبه، ثم قتله[11].

---

[8] الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ج3، ص 147-148.

[9] سمّي بالتفسير الحركي لأنّ صاحبه تحرّك بالقرآن حركة عمليّة حيّة، وجاهد به الجاهليّة جهاداً عمليّاً، وخاض به تجربة دعويّةً حيويّةً، وكتب تفسيره من الميدان لا من وراء المكاتب، أو خلف الجدران، ونزّل نصوصه على الواقع الذي عاشه، ونظر فيما حوله بمنظار القرآن، وقوّم الأحداث بميزانه على حدّ تعبير الخالدي. انظر: الخالدي، **المنهج الحركي في ظلال**، ص 32. يقول سيد عن هذا المنهج الحركي: " ونحن نؤكد على هذه السّمة في هذا القرآن، سمة الواقعية الحركية، لأنّها في نظرنا مفتاح التعامل مع هذا الكتاب وفهمه وفقهه وإدراك مراميه وأهدافه، إنّه لا بد من استصحاب الأحوال والملابسات والظّروف والحاجات والمقتضيات الواقعيّة العمليّة التي صاحبت نزول النص القرآني، لا بدّ من هذا لإدراك وجهة النّصّ وأبعاد مدلولاته، ولرؤية حيويّته وهو يعمل في وسط حيّ، ويواجه حالة واقعة كما يواجه أحياء يتحرّكون معه أو ضدّه، وهذه الرؤية ضرورية لفقه أحكامه وتذوّقها كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلّما تكرّرت تلك الظّروف والملابسات في فترة تاريخيّة تالية، وعلى الأخصّ فيما يواجهنا اليوم ونحن نستأنف الدّعوة الإسلاميّة." انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص 2121.

[10] انظر: الخالدي، **سيد قطب: الأديب الناقد، والداعية الجاهد، والمفكر المفسر الراشد**، ص 437-472.

[11] انظر: **المصدر نفسه**، ص 442-444، وانظر أيضاً: الخالدي، **مدخل إلى ظلال القرآن**، ص 50-52.

المطلب الثاني: عصره

أمّا عصره، فقد شهد تحوّلات خطيرة في شتّى الميادين:

فعلى الصّعيد السياسي، تمكّن المستعمرون الغربيون من استعمار مناطق شاسعة في العالم الإسلامي، ففي عام 1830م تم استيلاء فرنسا على الجزائر، وفي عام 1857م استولى الإنجليز سياسياً على الهند، وبعد عام 1881م تم احتلال مصر وتونس والأردن وفلسطين، وظلّ الاستعمار يقوم بتقطيع أوصال البلاد الإسلامية شيئاً فشيئاً ويضعها تحت سيادته حتى استطاع في النّهاية أن يطوّق العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب، وبعد الحرب العالميّة الأولى كان العالم الإسلامي كلّه تقريباً خاضعاً لنفوذ الاستعمار الغربي[12]، وفي أوائل مارس سنة 1924م بُلِيَت الأمّةُ الإسلاميّةُ بفاجعة سقوط الخلافة الإسلاميّة.

وعلى الصّعيد الاقتصادي والاجتماعي، كانت الحياة العامة في مصر تقوم على ظلم وقهر وحرمان، فهناك طبقة المسؤولين وأصحاب الأموال الكثيرة الغير المشروعة التي يستغلونها في عدة مجالات كالصناعة ومشاريعها المختلفة، ويقابل هؤلاء غالبية الشعب المصري الذين يمارسون أعمالاً صعبة أو ذليلة مقابل أجر ضئيل يعجز في كثير من الأحيان عن سدّ حاجاتهم الضرورية، هذا وكلّما زاد النفعيّون المسؤولون مكاسب وغنى، ازدادت الجماهير المسحوقة حرماناً وفقراً وجوعاً، سواء في عهد الملكيّة، أم في عهد الجمهورية، ولا شكّ أن حياة الفقر التي عاشها غالبية الشعب المصري جلبت عليه شقائق الفقر من جهل وكفر، وجبن وبخل، ومرض وضعف، وغلبة الدّين وقهر الرّجال.

وعلى الصّعيد الثقافي، هناك عوامل عديدة لعبت دوراً متبايناً في الحياة الثقافية المصريّة في القرن العشرين، فهناك التّعليم ومؤسّساته المختلفة، والتّرجمة، والبعثات العلمية، والصّحافة، والاحتكاك بالحضارة الغربيّة، وظهور عدد من الأدباء والمفكرين المصريين كطه حسين، وتوفيق الحكيم، وعباس محمود العقاد الذين كان لهم صدى كبير على الحياة الفكرية الأدبية في مصر آنذاك.

كانت سلطة الإدارة الاستعمارية تقوم بدور كبير خاصّة في مجال التعليم ورسم سياسته، لا لكي يقتصر على تخريج موظّفين إداريين فحسب، ولكن لكي يتم تشكيل العقل المسلم على نحو يخدم الأهداف الاستعمارية، قال المعتمد البريطاني كرومر: "في محاولاتنا الهادفة إلى طبع العقلية الشرقيّة بعاداتنا الفكرية، يجب أن نتقدم بكل حذر ممكن، وأن نتذكر أن واجبنا الأوّل هو إقامة نظام يسمح لجمهور السّكان بأن يكون محكوماً وفقاً لقانون الأخلاق المسيحيّة، ومع تجنّب أيّة حركة للتبشير الرّسمي، فإنّ علاقتنا مع مختلف الأجناس التي تمثّل رعايا ملك إنجلترا يجب أن تقوم على أساس الصّخرة الجرانيتية التي تمثّلها الأخلاق

---

[12] انظر: محمد بهيّ، **الفكر الإسلامي الحديث**، ص30.

المسيحية[13]"، لذلك اتّجه الاستعمار إلى تجفيف المنابع التي تعمل ضدّ هذا الخطّ الذي رسمه كرومر، وعلى رأسها الأزهر، وحتى الكتاتيب لم يألُ جهداً في التضييق عليها، وفي المقابل ازدهرت المدارس الأجنبية التي أقامتها الجاليات الأجنبية المقيمة في مصر، كما ازدهرت المدارس التي أقامتها البعثات التبشيرية المسيحيّة، وهذه المدارس الأجنبية كانت بمثابة الأوعية التي يتم فيها تشكيل عقلية قطاع أساسي من أبناء المجتمع، كي يحقّق الهدف الاستعماري في القضاء على الرؤية الإسلامية، أو يقوم بتطويرها في مجال التعليم والتربية، فيحقّق رؤية أوروبية بدلاً منها[14]، وقد دعّم هذا الاتّجاه الإرساليّات الطلابيّة إلى الغرب في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن العشرين بهدف تكوين طبقة تأخذ عن الحضارة الغربية كلّ شيء، "فبلغ عدد المبعوثين عام 1914م 750 طالباً، وكان عددهم سنة 1879م قد بلغ 172 طالباً فقط، أمّا في سنة 1920م بلغ عددهم 800 طالب في مختلف العواصم الأوروبية[15]"، ونتج عن هذه البعثات العلميّة إلى أوروبا، إعداد مفكرين قادرين على خدمة مصالح المحتلّ أكثر من المحتلّ نفسه، ومن أهم المفكّرين الذين ربّاهم الاحتلال لهذا الغرض: لطفي سيّد، وسلامة موسى، وطه حسين، ويرى الدّكتور إبراهيم اللبان أنّ رجال السياسة في الغرب على صلة وثيقة بأساتذة هذه الكليات (كليات اللغات الشرقية في أوروبا) وإلى آرائهم يرجعون قبل أن يتّخذوا القرارات الهامّة في الشؤون السّياسية الخاصّة بالأمم العربية والإسلامية[16]".

وعلى الصّعيد الإسلامي، ظهور بعض المحاولات الإصلاحية الفرديّة كالأفغاني، ومحمّد عبده، ورشيد رضا لبعث الفكر الإسلامي من جديد، إلا أنها كانت تستهدف الصّفوة والنّخبة، أمّا مؤسّسة الأزهر فقد كانت معزولةً عن التّأثير في حياة الناس بسبب تضييق الاحتلال ثم السّلطة الحاكمة على علمائها، وكذلك أُشغلَت بقضايا جزئية صرفتها عن هموم الدّعوة، وقضايا الأمّة عامّة، ومصر خاصّة، وأمّا الطّرق الصّوفيّة فقد آلت إلى ما آل إليه الأزهر من تضييق وتهميش، وكذا يرى الشّيخ القرضاوي أنّها أشغلت بأذكارها وأورادها عن التّصدّي للإصلاح[17]، وأمّا بخصوص الجمعيّات الإسلاميّة التي كانت موجودة في مصر خلال فترة العشرينيات، فقد تعدّدت مناهجها، فمنها ما توجّه نحو المعونة والمواساة، ومنها ما توجّه إلى إعانة الفقراء والمساكين، كجمعية العروة الوثقى، والجمعية الخيرية الإسلامية، أما ما عدا ذلك من الجمعيات فإنّ

---

13 انظر: جمعة أمين، **ظروف النشأة وشخصية الإمام المؤسس**، ص 102.

14 **المصدر نفسه**، ص 103.

15 **المصدر نفسه**، ص 103.

16 حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص 47.

17 انظر: يوسف القرضاوي، **الإخوان المسلمون سبعين عاما في الدعوة والتربية والجهاد**، ص 11.

منهجها إلقاء العظات والنّصائح والإرشادات الدينية[18]، ويري الدّكتور عمارة أن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين كان بمثابة المنعطف الجديد في مسيرة الإحياء والتجديد الإسلامي الذي بدأ بالأفغاني ومحمد عبده ثم رشيد رضا[19]، لقد أسّس حسن البنا جماعة **"الإخوان المسلمين"** في بداية العشرينيات من القرن الماضي لتكون نشاطاً إسلاميّاً جماعيّاً منظّماً قائماً على قيادة مسؤولة، وقاعدة مترابطة، ومفاهيم إسلامية واضحة، تنطلق منها نحو الإصلاح الاجتماعي، والأخلاقي، والعقائدي، والاقتصادي، والسّياسي، والثّقافي[20]، وعندما وصل مالك بن نبيّ إلى مصر سمع عن شخصيّة الإمام حسن البنا وعلم أنه كان من منهجيته العناية بالواقع العملي، فمدحه بكلمات رائعة، فوصفه بلفظ الزعيم يقول في ذلك: "ولقد ظفرت الحركة بزعيم لم يكن فيلسوفاً أو عالم كلام، فقد اكتفى بأن بعث في النّاس إسلاماً خلع عنه سدول التاريخ، وما كان له من نظريّة يركن إليها سوى القرآن نفسه، ولكنّه القرآن الذي يحرّك الحياة[21]"، وإنّ تأثير هذا الرّجل ليس نابعاً من سحر خاص به كما يتصور البعض، بل كان ذلك المدرّس الذي يؤدّي الصّلاة في كل مساجد القاهرة ثم ينتهز الفرصة ليذكر الناس ببعض آيات القرآن، رابطاً مفهومها بالواقع الاجتماعي لإحداث التغيير الذي كان يريد تحقيقه، حيث كان يستخدمها بنفس الطريقة التي كان الرّسول ﷺ يستخدمها فيه، وكذلك الصّحابة، بانتهاج المنحى السّلفي، فقد كان يوحي القرآن إلى الضمائر فيزلزل كيانها، فتدب الحياة في الآيات فتتحول إلى واقع يتحرك في سلوك الناس وذلك بتركيب كل من للفكر والعمل معاً[22].

هذا مختصر عن ملامح العصر الذي عايشه سيّد قطب في القرن العشرين، في مظاهره المختلفة: السّياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثّقافيّة، والإسلاميّة، فتأثّر بما حوله من نشاط أدبيّ، وعلميّ، وثقافيّ، واجتماعيّ، وسياسيّ، وإسلاميّ، وكان تأثّره سلبيّاً في بداية حياته، ثم صار إيجابيّاً بعد انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين ليكون من أعظم قادتها ومنظّريها إلى أن اغتالته يد البغي سنة 1966م.

المبحث الثاني: مفهوم خطاب التغيير الإسلامي وأهميته

المطلب الأول: مفهوم خطاب التغيير الإسلامي

أولا في اللّغة: عند تفكيك عبارة "مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي" نجد أنها تتكوّن من أربع مفردات هي: "مقومات"، "خطاب"، "التغيير"، و"الإسلامي"، وسنحللها الآن على حدة:

---

18 انظر: جمعة أمين، **ظروف النشأة وشخصية الإمام المؤسس**، ص 116.

19 **المصدر نفسه**، ص 115.

20 لمزيد من التفاصيل، راجع: **المصدر نفسه**، ص 241-266.

21 مالك بن نبي، وجهة **العالم الإسلامي**، ص146.

22 انظر: **المصدر نفسه**، ص 146-148.

1. "فالمقوّمات" أصلها من القوام، وقوام الأمر، بالكسر: نظامه وعماده، قال أبو عبيدة: هو قوام أهل بيته وقيام أهل بيته، وهو الذي يقيم شأنهم، ويقال: هذا قوام الأمر وملاكه الذي يقوم به، وقَوَّمَ دَرْأَه: أَزال عِوَجَه[23]، و(قياما) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: 5] "ما به يتقوّم المعاش"[24]، و(قياما) في الآية أصله : قواما، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهو ملاك الأمر وما يقوم به الأمر، وأراد هاهنا قوام عيشكم الذي تعيشون به، قال الضحاك: به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار[25]، و(أقوم) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] " الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب، وقال الزجاج: للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله، وقاله الكلبي والفراء"[26].

2. و"الخِطاب": مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخِطاباً، وهما يتخاطبان[27]. وقد جاء في: (الرائد)، الخطاب: مصدر خاطب، ما يكلّم به الإنسان صاحبه[28]. والخطاب كما ورد في: (الكليات)، هو الكلام المقصود به إفهام من هو متهيّئ لفهمه، والكلام الذي لم يقصد به إفهام المستمع، فإنّه لا يسمَّى خِطاباً[29]. احترز "بمن هو متهيّئ لفهمه" عن النائم، والمجنون، والصبيّ غير المحتلم. أيضاً وردت كلمة خَطَبَ في القرآن الكريم بصيغة "خطاب" ثلاث مرّات، في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20] والمقصود بفَصْل الخِطَابِ هو "فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل، ورفع الشّبه، وإقامة الدلائل"[30]، وقال آخر بأنه: " بلاغة الكلام وجمعه للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان، والمعنى: أن داود أوتي من أصالة الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلّم جاء بكلام فاصل بين الحقّ والباطل شأن كلام الأنبياء والحكماء، وحسبك بكتابه «الزبور» المسمّى عند اليهود ب«المزامير» فهو مثل في بلاغة القول في لغتهم"[31]؛ وقوله سبحانه: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23]. حيث المقصود بعَزَّنِي فِي

---

[23] انظر: ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب**، ج12، ص499.

[24] ابن عاشور، الطاهر ، **التحرير والتنوير**، ج4، ص 235.

[25] أبو محمد، مسعود البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج2، ص 164.

[26] القرطبي، أبو عبد الله، **الجامع لأحكام القرآن**، ج10، ص 225.

[27] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص134.

[28] انظر: مسعود، جبران، **الرائد معجم لغوي عصري**، ج1، ص 631.

[29] انظر: الكفوي، أبو البقاء، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ص 419.

[30] القاسمي، جمال الدّين، **تفسير القاسمي**، ج8، ص 246.

[31] ابن عاشور، الطاهر ، **التحرير والتنوير**، ج23، ص 229.

الخِطَابِ أنّه "غَلَبني في المكَالَمة"[32]؛ وقوله تعالى ذِكْرُهُ: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: 37]، والمعنى المراد مِن لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً أي: "لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب"[33]. ويلاحَظُ في هذه الآيات البيّنات أن الخطاب قد اقترن مرّةً بالحكمة، ومرَّةً بالإقناع وقوّة البيان والحجة والبرهان، وأخرى بالعظمة والهيبة. وهذه كلّها من مواصفات الخطاب الناجح.

3. أمّا "التغيير" فهو لفظ من: تغيّر الشيء عن حاله: تحول، وغيّره: حوّله وبدّله كأنّه جعله غير ما كان، وفي التنزيل العزيز: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: 53]، وغيّر عليه الأمر: حوّله، وتغايرت الأشياء: اختلفت، وقال ابن الأنباري في قولهم: لا أراني الله بك غيرا؛ الغير: من تغير الحال، وأنشد:

ومن يكفر الله يلق الغير

أي: تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد[34]؛ وورد فعل "غيّر" بتشديد الياء في القرآن الكريم في أربعة مواضع: الأوّل قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، و"التغيير: التبديل بالمغاير"[35]، قال الطبري: يقول تعالى ذكره: (إن الله لا يغير ما بقوم) ، من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من ذلك بظلم بعضهم بعضا، واعتداء بعضهم على بعض فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغيير[36]؛ والثاني قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: 53]؛ يقول ابن عاشور: "و«التغيير» تبديل شيء بما يضاده فقد يكون تبديلَ صورة جسم كما يقال: غَيّرتُ داري، ويكون تغيير حال وصفة ومنه تغيير الشيب أي صباغه، وكأنه مشتقّ من الغير وهو المخالف، فتغيير النعمة إبدالها بضدّها وهو النقمة وسوء الحال، أي تبديل حالة حسنة بحالة سيّئة"[37]؛ والثالث قوله تعالى ذكره: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: 15]، يقول القرطبي: "أي لم يحمض بطول المقام كما تتغير ألبان الدنيا إلى

---

[32] **المصدر نفسه**، ج8، ص 247.

[33] **المصدر نفسه**، ج9، ص 393.

[34] ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب**، ج5، ص 40.

[35] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج13، ص 102.

[36] الطبري، ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج16، ص 382-383.

[37] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج10، ص 45.

الحموضة"[38]؛ والرابع قوله عز وجل: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: 119]، أي: تغيير ما خلق الله من دينه، ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به"[39].

4. بينما "الإسلامي" نسبة إلى الإسلام، ويقال: أَسْلَمَ أَي دخل في السِّلْمِ، والسّلم: الإسلام، وهو: الاستخذاء والانقياد والاستسلام، والإسلام والاستسلام: الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشّريعة والتزام ما أتى به النّبيّ صلى اللّهُ عليه وسلّم، وبذلك يحقن الدّم ويستدفع المكروه[40]، والإسلام في قوله تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، بمعنى: " الانقياد بالتذلل والخشوع، والفعل منه: " أسلم " بمعنى: دخل في السلم، فكذلك " أسلموا "، إذا دخلوا في السلم، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة"[41].

ثانيا: في الاصطلاح

1. فالمقومات هي المسدّدات التي تسدّد الخطاب وتصوّبه، وتزيل اعوجاجه فتجعله: خطاباً مستقيماً، معتدلاً، حكيماً، منضبطاً في كل أموره.

2. والخطاب هو: "قول المنطوق المخاطَب به جمع من الناس بقصد التعليم أو الإقناع أو التسلية"[42]، أو هو: "الكلام الموجه لحاضر لدى المتكلم أو كالحاضر المتضمن إخباراً أو طلباً أو إنشاء مدح أو ذمّ"[43]، ويرى آخر بأنّه: "فنّ مخاطبة الجمهور، القائم على الإقناع والاستمالة، وتعتمد الخطبة على الجمل القصيرة، والألفاظ المألوفة، والمعاني القريبة، والترتيب المنطقي، ووحدة الموضوع، ومخاطبة العقل، والقلب معاً، وتزدهر في الاضطرابات والانقسامات ومجالات حرية القول"[44]، وهناك من عرّف الخطاب بأنّه "يمثّل جملةً من المنطوقات أو التشكّلات الأدائية التي تنتظم في سلسلة معيّنة لتنتج —على نحو تاريخي– دلالة ما، وتحقق أثراً معيّناً. ويخلق الخطاب تفاعلاً حوارياً مع المجال الاجتماعي الذي يعدّ مهاداً لتلقي موضوعه، فيتجادل مع غيره من الخطابات ويشتبك مع وعي المخَاطَبين في محاولةٍ لدفعهم إلى حقل قناعاته"[45].

---

38 القرطبي، أبو عبد الله، **الجامع لأحكام القرآن**، ج16، ص 237.

39 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج9، ص 222.

40 ابن منظور، **لسان العرب**، ج12، ص 293-295.

41 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص 281.

42 مجموعة من الأساتذة، **الموسوعة العربية العالمية**، ج10، ص 104.

43 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص 50.

44 ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**، ج 4، ص 1615.

45 منير، وليد، **النص القرآني من الجملة إلى العالم**، ص 17.

3. أمّا التغيير فهو: "إحداث شيء لم يكن قبله"[46]، أو هو: "انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى"[47]، وعبر عنه آخر بأنّه: " إحداث تحولات على بنية ووظائف الأنظمة الاجتماعية والثقافية بدون إصدار أي أحكام قيمية عليها "[48]، ويمكن القول بأنّه: إبدال قديم بمغاير جديد أفضل منه أو إبدال مفضول بفاضل.

4. بينما الإسلام فهو: " عَلَم بالغلبة على مجموع الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك لقب أتباع هذا الدين بالمسلمين وبالمؤمنين، والإسلام هو المظهر البين لمتابعة الرسول فيما جاء به من الحق"[49]، وعبّر عنه آخر بأنه: "تحكيم منهج الله في أمر العباد كلّه، وطاعتهم لما يحكم به، واتّباعهم لرسوله في منهجه، ولا إسلام بغير استسلام لله، وطاعة لرسوله، واتّباع لمنهجه، وتحكيم لكتابه في أمور الحياة"[50].

تبقى الإشارة إلى أنّ المراد بمقوّمات خطاب التغيير الإسلامي هو: الكلام المستقيم الموجه إلى النّاس المنضبط في كلّ أموره بضوابط الشرع الحنيف قصد تغيير أحوال المخاطَبين بإحلال تصوّرات الإسلام وقيمه ومثله وآدابه وأحكامه مكان التصوّرات الجاهلية[51] السّائدة اليوم في كلّ مكان، "ولن يكون هذا بأن نجاري الجاهليّة في بعض الخطوات، كما أنّه لن يكون بأن نقاطعها الآن وننزوي عنها وننعزل، كلاّ، إنّما هي المخالطة مع التميّز، والأخذ والعطاء مع الترفّع، والصّدع بالحقّ في مودّة، والاستعلاء بالإيمان في تواضع"[52].

المطلب الثاني: أهمية خطاب التغيير الإسلامي

لا شكّ أنّ أهميّة خطاب التغيير الإسلامي تكمن في بناء أجيال قادرة على الحفاظ على البقاء الإسلامي، وذلك عن طريق مواجهة كل مظاهر الانحراف المتمثلة في الاستشراق، والتنصير، والعولمة، والعلمانية التي جاءتنا من الحضارة الغربية عن طريق وسائلها المختلفة كالمطبوعات، والبعثات العلمية والتنصيرية، والراديو، والسينما، والتلفاز، والفيديو، و الإنترنت، والقنوات الفضائية، كلّ هذه الوسائل وغيرها أسهمت في انتشار سموم الحضارة الغربية بشكل مذهل، وتتمثل هذه السّموم في العقائد الكفريّة

---

46 الجرجاني، علي بن محمد، **كتاب التعريفات**، ج1، ص 63.

47 **المصدر نفسه**، ج1، ص 63.

48 محمود خليل، **معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن**، ص 22.

49 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص 189.

50 **المصدر نفسه**، ج1، سورة آل عمران، ص 377.

51 هي التصوّرات والمفاهيم الخاطئة حول الإسلام منهجاً وعقيدة ودعوة وسلوكاً.

52 سيّد قطب، **معالم في الطريق**، ص 161.

الإلحاديّة التي لا تؤمن إلا بكل ما هو محسوس، وتأليه المال وعبادة أصحابه، والانحلال والإباحية والدعوة لممارسة كل رذيلة والتحلّل من كل فضيلة.

لقد كان من نتائج تسلّل هذا الغزو الثقافي إلى الشعوب الإسلامية أن ولّد الشّكوك والوساوس في عقولهم، ثم طبعهم بطابع التبعية الفكرية لأولئك الغزاة المجرمين. وبالتالي انتشار ظاهرة ازدواجية التربية أو ما بات يعرف بتعدّد أو اختلاط التربيات في المجتمع الإسلامي الواحد، وصار المجتمع المسلم مزيجاً من أشخاص تتنازعهم تربيّات مختلفة علماً أنّ حضّ الإسلام فيها عزيز جدّاً، ولا شكّ أنّ ظاهرة اختلاط التربيّات تحدّ كثيراً من تأثير الجهود المصلحين، ولذلك لجأ المربّون المصلحون إلى علاج هذه الظّاهرة ووضع الحلول لها، ومن هذه الحلول ما ذكره ابن باديس الجزائري رحمه الله وهو يتحدّث عن استراتجيّته التربوية في بناء الأجيال: " فإننا –والحمد لله– نربّي تلامذتنا على القرآن من أوّل يوم، ونوجّه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكوّن القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلّق هذه الأمّة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا، وجهودهم[53]"، فالقرآن يعتبر هو المصدر الأساسي لأيّ خطاب إسلامي يراد به التغيير والإصلاح، وللتذكير فإنّ السّنة ملازمة للقرآن لكونها شارحة له.

إنّ عمليّات التغيير الإصلاحي تحتاج إليها الأفراد والجماعات لأنّها أساس البناء الخلقي الذي هو أساس تكوين المجتمعات وبناؤها على أسس وقيم ومبادئ سليمة، بل يقوم خطاب التغيير الإسلامي بدور فاعل في إدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمعرفية والأخلاقية التي تحياها المجتمعات الإسلامية، أو كيفية التفاعل والتعامل مع غيرهم من الأمم الأخرى غير الإسلامية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها. لذا يحدد قطب الهدف من التغيير الذي ينشده بقوله : " إنّ مهمتنا الأولى هي تغيير هذا الواقع الجاهلي من أساسه، هذا الواقع الذي يصطدم اصطداماً أساسياً بالمنهج الإسلامي وبالتصور الإسلامي والذي يحرمنا بالقهر والضغط، أن نعيش كما يريد لنا المنهج الإلهي"[54]، إذن فالتغيير الذي ينشده قطب، يستهدف استبدال وجه العالم الحالي بعالم آخر، يُقر فيه سلطان الله وحده ويُبطل سلطان الطواغيت، إنه العالم الذي يولد فيه الإنسان الحر الكريم، المتحرر من العبودية لغير الله[55].

فالعرب قبل الإسلام مثلاً كان مستواهم الأخلاقي في الجزيرة العربيّة يوصف بالتدنّي الشّديد في شتّى الجوانب حتّى وصفهم الصّحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: "كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام

---

[53] الطالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، ، ج2، ص 142.

[54] سيّد قطب، **معالم في الطريق**، ص 99.

[55] سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، النّساء، ص 1255.

ونقطع الأرحام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش و نسيء الجوار، و يبطش القوي منّا بالضعيف[56]"، وقد ذكرت لنا أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها مثالاً عن جوانب التديّن الأخلاقي في المجتمع الجاهلي فقالت: "إنّ النّكاح في الجاهليّة كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح النّاس اليوم، يخطب الرّجل إلى الرّجل وليّته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ونكاح آخر، كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها، ولا يمسّها حتى يتبيّن حملها من ذلك الرّجل الذي تستبضع منه، فإذا تبيّن حملها أصابها زوجها إذا أحبّ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النّكاح يسمّى نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر، يجتمع الرّهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلّهم فيصيبونها، فإذا حملت ووضعت ومرّ ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، فتقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، فتسمّي من أحبّت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرّجل، ونكاح رابع يجتمع النّاس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهنّ البغايا ينصبن على أبوابهن الرّايات وتكون علماً، فمن أرادهنّ دخل عليهن، فإذا حملت إحداهنّ ووضعت جمعوا لها ودعوا لها القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك[57]"، ولكن بعد أن تربّى العرب في أحضان الإسلام مستمعين إلى خطب النبيّ صلى الله عليه وسلم التغييرية الإصلاحية، صاروا كما يصفهم الصّحابيّ نفسه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: " فدعانا[58] إلى الله عز وجل لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم، والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ من استطاع إليه سبيلاً[59]"، وتقول السّيّدة عائشة رضي الله عنها استكمالاً لحديثها عن نكاح الجاهليّة: " فلمّا بُعث محمّد ﷺ بالحقّ هدم نكاح الجاهلية كله إِلَا نكاح النَاس اليوم[60]"، دلّت هذه النّصوص وغيرها على النّقلة النّوعيّة الفريدة التي أحدثها خطاب التغيير

---

56 الأثر بطوله أخرجه الإمام أحمد في مسنده عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ. انظر: أحمد، محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، رقم 1740، ج4، ص 266.

57 الحديث بطوله أخرجه البخاري من طريق عروة بن الزّبير عن عائشة زوج النبيّ ﷺ أنّها أخبرته. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بوليّ، رقم 4834، ج3، ص343.

58 أي: النبي محمد ﷺ.

59 الحديث بطوله أخرجه الإمام أحمد في مسنده عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ. أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم 1740، ج4، ص 266.

60 الحديث بطوله أخرجه البخاري من طريق عروة بن الزّبير عن عائشة زوج النبيّ ﷺ أنّها أخبرته. البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بوليّ، رقم 4834، ج3، ص343.

الإسلامي في حياة العرب الذين أسلموا لله ربّ العالمين واستجابوا لدعوة رسول الله ﷺ، وكانت النتيجة بعد ثلاثة وعشرين حولاً قضاها النبيّ ﷺ بين مكّة والمدينة في إعداد طبقة هائلة من العلماء والدّعاة والمجاهدين – رضي الله عنهم جميعاً– الذين أسهموا جميعاً في حمل رسالة الإسلام إلى النّاس كافّة. هذا ومازال الخطاب الإسلامي هو الوسيلة الأساسية لتغيير المجتمعات نحو حياة أصلح وأقوم وأصوب، ويعتبر الخطاب الإسلامي الدّعامة الأولى والرّكيزة الأساسية للعقل المسلم، كما أنه أيضاً يشكل المصدر الأساسي تربية لوعي غير المسلم بالإسلام، ومن هنا فمهما يكن بالمسلمين من معيشة يسودها العلم أو الجهل، والهدى أو الضلال، والاجتماع أو الافتراق، والتقدّم أو التخلف، وكذا مهما يكن عليه فهم غير المسلم بالإسلام سواء كان إيجابيا أو سلبيا فإنما يرجع إلى نوعية الخطاب الإسلامي السّائد، حيث إنّه ليس كل خطاب مستقيماً، معتدلاً، حكيماً، منضبطاً في كل أموره، لذا يبدو لي بأن أكثر مشاكل الأمة الإسلامية اليوم تعود جذورها إلى الخلل القائم في الخطاب الإسلامي السّائد، وإذا كان كذلك، فلا فلاح للمسلمين في شؤون دينهم، وقضايا دنياهم، ولا أمل لهم باستئناف نهضتهم إلا بالرّجوع إلى الخطاب الإسلامي المستقيم، والاستقامة على مقوّماته في الإصلاح، والتربية، وبناء المجتمعات الإنسانية الراقية.

المبحث الثالث: مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي من خلال تفسير سيّد قطب

والآن سيتطرّق الباحث إلى استخراج وتحليل أهمّ مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي الواردة في تفسير الظّلال لسيّد قطب، والباحث إذ يكتب هذه السطر، لا يزعم أنه قد أحاط علماً بكل هذه المقوّمات، وإنما قد أحاط بأهمّها على ما بدا له، كما أنها ليست مقوّمات خطابه الوحيدة، لذا فهي لا تأتي في الدراسة على سبيل الحصر، إذن فمن مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي من خلال تفسير سيّد قطب دون التزام معيار في ترتيبها:

العقيدة ينبوع كل التصوّرات

ثبات الشريعة الإسلامية واستمرارها

الإسلام منهج حياة شامل ومتكامل

الوسطية والتوازن

التصوّر الإيجابي للحياة

الواقعيّة الحركيّة

عالميّة الإسلام

ربّانيّة الأخلاق

القضاء الحاسم في مسائل الاعتقاد والتدرّج في معالجة الانحرافات السّلوكيّة

تربية القرآن وعي المسلم بحقيقة أعدائه

وللأمانة العلمية، سيركّز الباحث في استنباط مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي على كلام سيّد قطب في الأجزاء الإثني عشر الأولى للظّلال من سورة فاتحة إلى سورة يوسف[61]، والتي بمعرفتها واكتشافها، يمكننا أن نضع الدّعائم الأساسية التي يقوم عليها خطاب التغيير الإسلامي النّاجح، وهي موزّعة على شكل الآتي:

المطلب الأول: العقيدة ينبوع كل التصوّرات

العقيدة أولى مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي من خلال تفسير الظّلال، ومصدر هذه المقوّمات كذلك، يرى سيّد قطب أنّ العقيدة في الله هي المحرّك الأوّل والأساسي لكل التصوّرات الأساسيّة للعلاقات الكونيّة والحيوية والإنسانية، بمعنى أنّ كلّ التشريعات والتوجيهات التي تتعلّق بكل أنواع النّشاط الإنساني تنبثق من المنهج الرّبّاني، وتتلقّى منه وحده دون سواه، وترفض كل ما يخالف هذا المنهج الرّبّاني، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: 36]، يقول سيّد قطب: "إنّ التشريعات والتوجيهات -في منهج الله- إنما تنبثق كلها من أصل واحد، وترتكز على ركيزة واحدة، إنها تنبثق من العقيدة في الله، وترتكز على التوحيد المطلق سمة هذه العقيدة، ومن ثم يتصل بعضها ببعض، ويتناسق بعضها مع بعض، ويصعب فصل جزئية منها عن جزئية، وتصبح دراسة أي منها ناقصة بدون الرجوع إلى أصلها الكبير الذي تلتقي عنده، ويصبح العمل ببعضها دون البعض الآخر غير واف بتحقيق صفة الإسلام كما أنه غير واف بتحقيق ثمار المنهج الإسلامي في الحياة[62]"، كما يرى سيّد أنّ من العقيدة في الله تنبع كلّ التصوّرات الأساسية للعلاقات الكونية والحيوية والإنسانية التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والعالمية، والتي تؤثر في علاقات الناس بعضهم ببعض، في كل مجالي النّشاط الإنساني في الأرض، والتي تكيّف ضمير الفرد وواقع المجتمع، والتي تجعل المعاملات عبادات

---

61 قال الأستاذ محمد قطب -شقيق الأستاذ سيّد قطب-: لعبد الرحمن بن محمد الهرفي عن سؤاله عن كتاب: "العدالة الاجتماعيّة" لسيّد قطب وما دار فيه من لغط، يقول محمد قطب: "سألتني عن كتاب "**العدالة الاجتماعية**" فأخبرك أنّ هذا أوّل كتاب ألّفه بعد أن كانت اهتماماته في السّابق متّجهة إلى الأدب والنّقد الأدبي، وهذا الكتاب لا يمثّل فكره بعد أن نضج تفكيره وصار بحول الله أرسخ قدماً في الإسلام، وهو لم يوصِ بقراءته، إنّما الكتب التي أوصى بقراءتها قبيل وفاته هي "**الظّلال**" (وبصفة خاصة الأجزاء الإثنا عشرة الأولى المعادة المنقّحة، وهي آخر ما كتب من الظّلال على وجه التّقريب وحرص على أن يودعها فكره كلّه)، "**معالم في الطّريق**" (ومعظمه مأخوذ من الظّلال مع إضافة فصول جديدة)، و"**هذا الدّين**" "**والمستقبل لهذا الدّين**"، "**خصائص التصوّر الإسلامي ومقوّماته**" (وهو الكتاب الذي نشر بعد وفاته) "**والإسلام ومشكلات الحضارة**"، أمّا الكتب التي أوصى بعدم قراءتها فهي كل ما كتبه قبل الظّلال، ومن بينها "**العدالة الاجتماعية**"، هذا جواب ما سألتني عنه، وبالله التوفيق، انظر: شبكة أنا مسلم للحوار الإسلامي: www.muslm.org/vb/showthread.php?455357-بتاريخ 2014/01/07. وموقع الدّين الخالص: http://aldeenelkhles.blogspot.com/2013/04/blog-post_11.html

62 سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، النّساء، ص 659.

والعبادات قاعدة للمعاملات والتي تحيل الحياة في النّهاية وحدة متماسكة، تنبثق من المنهج الرّبّاني، وتتلقّى منه وحده دون سواه، وتجعل مردّها في الدّنيا والآخرة إلى الله[63]. ويرى سيّد أنّ الإسلام لا يتسامح في أن يتلقّى المسلم أصول عقيدته، ولا مقوّمات تصوّره، ولا تفسير قرآنه وحديثه وسيرة نبيّه، ولا منهج تاريخه وتفسير نشاطه، ولا مذهب مجتمعه، ولا نظام حكمه، ولا منهج سياسته، ولا موجبات فنّه وأدبه وتعبيره، والخ، من مصادر غير إسلاميّة، ولكنّه يتسامح في أن يتلقّى المسلم عن غير المسلم، أو عن غير التّقيّ من المسلمين، في علم الكيمياء البحتة، أو الطّبيعة، أو الفلك، أو الطّبّ، أو الصّناعة، أو الزّراعة، أو الأعمال الإدارية والكتابية وأمثالها[64]، وذلك في الحالات التي لا يجد فيها مسلماً تقيّاً يأخذ عنه في هذا كلّه[65]".

المطلب الثاني: ثبات الشريعة الإسلامية واستمرارها

انطلاقاً من التصوّر الاعتقادي للنّشاط الإنساني، تنبثق سائر المقوّمات الأخرى، فبما أنّ كل التشريعات والتوجيهات التي تتعلّق بكل أنواع النّشاط الإنساني تنبثق من المنهج الرّبّاني وحده لا شريك له، فينبغي إذن التحرّك بهذا الدّين داخل هذا الإطار الثابت، لأنّ واضع قوانين الشّريعة الإسلامية هو الله تبارك وتعالى الذي أحاط علمه بكل ما يصلح وما لا يصلح لأيّ نشاط إنسانيّ، وتالياً فقوانين الله ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الأزمنة والأمكنة والأجناس البشرية، وإنما الذي يتغيّر هي القوانين البشرية التي يتّسم واضعوها بالجهل والعجز، فما صلح في زمان لا يصلح في زمان آخر، وما صلح في مكان لا يصلح في مكان آخر، وما صلح لجنس بشريّ معين، لا يصلح لجنس بشريّ آخر وهلمّ جرا، يقول سيّد: "إنّ الثبات في مقومات التصوّر الإسلامي وقيمه هو الذي يضمن للحياة الإسلامية خاصية الحركة داخل إطار ثابت حول حور غير ثابت، فيضمن للفكر الإسلامي وللحياة الإسلامية مزية التناسق مع النظام الكوني العام؛ ويقيه شرّ الفساد الذي يصيب الكون كلّه لو اتّبع أهواء البشر، بلا ضابط من قاعدة ثابتة لا تتأرجح مع الأهواء[66]"، ويضرب سيّد مثالاً لهذا المقوّم عند تفسيره لنصوص الولاء والبراء في سورة المائدة من الآية 51 إلى الآية

---

63 انظر: **المصدر نفسه**، ج2، النّساء، ص 659.

64 لكن يجب الأخذ بالحيطة أيضاً أثناء تلقّي هذه العلوم البحتة عن غير المسلم، يقول سيّد: " وإذا تقرّر أن مناهج الفكر الغربي، ونتاج هذا الفكر في كلّ حقول المعرفة، يقوم ابتداء على أساس تلك الرّواسب المسمّمة بالعداء لأصل التصوّر الدّيني جملة، والتصوّر الإسلامي خاصّة، لأنّه يتعمّد هذا العداء بصفة خاصّة، ويتحرّى في حالات كثيرة تمييع العقيدة والتصوّر والمفهومات الاسلامية، ثم تحطيم الأسس التي يقوم عليها تميّز المجتمع المسلم في كلّ مقوماته، ومن ثمّ تجب الحيطة كذلك في أثناء دراسة العلوم البحتة من أيّة ظلال فلسفيّة تتعلّق بها، لأنّ هذه الظّلال معاديّة في أساسها للتصوّر الديني جملة، وللتصوّر الإسلامي بصفة خاصّة، وأيّ قدر منها يكفي لتسميم الينبوع الإسلامي الصّافي"، انظر: سيّد قطب، **معالم في الطريق**، ص 135.

65 **المصدر نفسه**، ص 127.

66 سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ص 83.

66، يقول رحمه الله: "وتشير نصوص هذا الدّرس إلى طريقة المنهج القرآني في تربية الجماعة المسلمة وإعدادها لدورها الذي قدّره الله لها، كما تشير إلى مقوّمات هذا المنهج والمبادئ التي يريد تقريرها في النفس المسلمة وفي الجماعة المسلمة في كل حين، وهي مقوّمات ومبادئ ثابتة، ليست خاصة بجيل من هذه الأمة دون جيل، إنما هي أساس النشأة للفرد المسلم وللجماعة المسلمة في كل جيل، إنّ هذا القرآن يربّي الفرد المسلم على أساس إخلاص ولائه لربّه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصّفّ الذي يقف فيه وكل صفّ آخر لا يرفع راية الله، ولا يتّبع قيادة رسول الله، ولا ينضمّ إلى الجماعة التي تمثل حزب الله، وإشعاره أنه موضع اختيار الله، ليكون ستاراً لقدرته، وأداة لتحقيق قدره في حياة البشر وفي وقائع التاريخ، وأنّ هذا الاختيار -بكل تكاليفه- فضل من الله يؤتيه من يشاء، وأن موالاة غير الجماعة المسلمة معناه الارتداد عن دين الله، والنّكول عن هذا الاختيار العظيم، والتخلّي عن هذا التفضيل الجميل[67]".

المطلب الثالث: الإسلام منهج حياة شامل ومتكامل

إنّ ثبات الشريعة الإسلاميّة واستمرارها واستقرارها يقتضي شموليّتها وتكاملها، لأنّه يستحيل لكل ذي عقل سليم أن تكون القوانين التي وضعها الله ثابتة ولكن غير شاملة لكل مناحي حياة الإنسان، إنّ كون الشّريعة الإسلاميّة هي من صنع الله الذي أحاط بكل شيء علماً، أكسبها سمة الشّمول والتكامل، ولأجل هذا فإنّ الله لا يقبل من الفرد المسلم أو المجتمع المسلم أن يتلقّى منهج حياته من مصدر غير مصدر الذي رسمه الله في كتابه وفي سنة نبيّه محمد ﷺ، يرى الشيخ القرضاوي أنّ: "هذا الشّمول الذي تميّز به الإسلام -بحيث استوعب الحياة كلّها، والإنسان كلّه، في كلّ أطوار حياته، وفي كلّ مجالات حياته- يجب أن يقابله شمول مماثل من جانب التزام المسلمين: أعني الالتزام بهذا الإسلام كلّه في شموله وعمومه وسعته. فلا يجوز الأخذ بجانب من تعاليمه وأحكامه، وطرح جانب آخر، أو جوانب أخرى منها، قصداً وإهمالاً، لأنها "كُلٌّ" لا يتجزّأ[68]"، في ظلال قوله تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً﴾ [النساء: 36]، يقول سيّد: " وهكذا نجد هذا الكتاب لا يعلّم المسلمين العبادات والشعائر فحسب، ولا يعلّمهم الآداب والأخلاق فحسب -كما يتصوّر النّاس الدّين ذلك التصوّر المسكين! إنما هو يأخذ حياتهم كلّها جملة، ويعرض لكلّ ما تتعرّض له حياة النّاس من ملابسات واقعية، ومن ثمّ يطلب -بحقّ- الوصاية التّامّة على الحياة البشريّة، ولا يقبل من الفرد المسلم ولا من المجتمع المسلم، أقلّ من أن تكون حياته بجملتها من صنع هذا المنهج، وتحت تصرّفه وتوجيهه، وعلى وجه التّحديد لا يقبل من الفرد المسلم،

---

67 سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، المائدة، ص 907.

68 يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، ص 95-114.

ولا من المجتمع المسلم أن يجعل لحياته مناهج متعدّدة المصادر: منهجاً للحياة الشّخصيّة، وللشّعائر والعبادات، والأخلاق والآداب، مستمدّاً من كتاب الله، ومنهجاً للمعاملات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدّوليّة، مستمدّاً من كتاب أحد آخر أو من تفكير بشري على الإطلاق![69]"، ثم يضيف سيّد من أنّ مهمّة التفكير البشري أن تستنبط من كتاب الله منهجه أحكاماً تفصيليّة تطبيقيّة لأحداث الحياة المتجدّدة، وأقضيتها المتطورة ولا شيء وراء ذلك، وإلاّ فلا إيمان أصلاً ولا إسلام، لا إيمان ابتداء ولا إسلام، لأنّ الذين يفعلون ذلك لم يدخلوا بعد في الإيمان، ولم يعترفوا بعد بأركان الإسلام، وفي أولها: شهادة أن لا إله إلا الله، التي ينشأ منها أن لا حاكم إلاّ الله، وأن لا مشرّع إلا الله[70]، ويقول في موضع آخر: "إنّ شريعة الله تمثّل منهجاً شاملاً متكاملاً للحياة البشرية، يتناول بالتّنظيم والتّوجيه والتّطوير كل جوانب الحياة الإنسانيّة في جميع حالاتها، وفي كل صورها وأشكالها[71]"، ويقول أيضاً في المعالم: " إنّ "شريعة الله" تعني كلّ ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشريّة، وهذا يتمثّل في أصول الاعتقاد، وأصول الحكم، وأصول الأخلاق، وأصول السّلوك، وأصول المعرفة أيضاً[72]".

المطلب الرابع: الوسطية والتوازن

إنّ شمول الشريعة الإسلامية لكافّة مناحي حياة الإنسان، يقتضي توازنها واعتدالها، بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر، ولا يمكن أن يقع التركيز على جانب من جوانب العبادات، وإهمال جوانب أخرى، فالشّريعة الإسلامية هي نظامٌ ربّانيٌّ صالح لكل زمان ومكان وجنس بشريٍّ، وهي نظام ثابت لا يتغيّر، وشامل لا يتبعّض، ومتوازن لا غلوّ فيه ولا تفريط، إنّ التّوازن –في هذا الصّدد– هو الذي "ينشيء السّعادة والطمأنينة، والذي يطلق الطاقات الإنسانية كلّها لتعمل دون كبت ودون مغالاة في جانب من جوانبها الكثيرة"، بينما "الخلخلة وعدم الاتّزان هو الطابع الدائم للحياة في غير ظلّ الإسلام مهما التمعت بعض الجوانب ومهما تضّخمت بعض الجوانب، فإنّما تلتمع لتنطفئ جوانب أخرى، وإنما تتضخّم على حساب الجوانب الأخرى، والبشريّة معها تتأرجح وتحتار وتشقى[73]".

---

[69] سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، النساء، ص 704-705، ينظر أيضاً بتوسّع كتاب: «**الإسلام ومشكلات الحضارة**»، فصل: «**تخبّط واضطراب**»، عن مكتبة: «دارالشروق» لسيّد رحمه الله.

[70] انظر: **المصدر نفسه**، ج2، النساء، ص 704-705، يراجع أيضاً بتوسّع كتاب: «**الإسلام ومشكلات الحضارة**»، فصل: «**تخبّط واضطراب**»، عن مكتبة: «دارالشروق» لسيّد رحمه الله.

[71] **المصدر نفسه**، ج2، المائدة، ص 890، يراجع أيضاً بتوسّع كتاب: «**المستقبل لهذا الدّين**»، فصل: «**الإسلام منهج حياة**»، عن مكتبة: «دارالشروق» لسيّد رحمه الله.

[72] سيّد قطب، **معالم في الطريق**، ص 124.

[73] سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، النّساء، ص 812.

في ظلال قوله سبحانه: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً، لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143]، يستلهم سيّد قطب أهمّ المعاني التي تحمله عبارة "الأمّة الوسط" ليصل إلى ستّة هي:

1. أمّة وسطاً في التصوّر والاعتقاد

يقول سيّد: "لا تغلو في التجرّد الرّوحي ولا في الارتكاس المادّي، إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح، وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطّاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال[74]".

2. أمّة وسطاً في التفكير والشّعور

يقول سيّد: "لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلّد تقليد القردة المضحك، إنما تستمسك بما لديها من تصوّرات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب وشعارها الدائم: الحقيقة ضالّة المؤمن أنّى وجدها أخذها، في تثبّت ويقين[75]".

3. أمّة وسطاً في التنظيم والتنسيق

يقول سيّد: "لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضّمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب، وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السّلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك[76]".

4. أمّة وسطاً في الارتباطات والعلاقات

يقول سيّد: "لا تلغي شخصية الفرد ومقوّماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا همّ له إلا ذاته، إنما تطلق من الدّوافع والطّاقات ما يؤدّي إلى الحركة والنّماء، وتطلق من النّوازع والخصائص ما يحقّق شخصيّة الفرد وكيانه، ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلوّ، ومن المنشّطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، وتقرّر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتّساق[77]".

5. أمّة وسطاً في المكان

---

[74] سيّد قطب، **في ظلال القرآن** ج1، البقرة، ص 131.

[75] **المصدر نفسه**، ج1، البقرة، ص 131.

[76] **المصدر نفسه**، ج1، البقرة، ص 131.

[77] **المصدر نفسه**، ج1، البقرة، ص 131.

يقول سيّد: "وما تزال هذه الأمّة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللّحظة هي الأمّة التي تتوسّط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعًا، وتشهد على الناس جميعاً، وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك، وتتحكمّ في هذه الحركة ماديّها ومعنويّها على السّواء[78]".

6. أمّة وسطاً في الزّمان

يقول سيّد: "وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها، وتصدّها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتزاوج بين تراثها الرّوحي من عهود الرّسالات، ورصيدها العقلي المستمرّ في النّماء، وتسير بها على الصّراط السّويّ بين هذا وذاك"[79]، ونقف عند هذا الحدّ المناسب لسياق الظّلال في الحديث عن الإيحاءات القويّة للوسطيّة والتّوازن في قول الله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً،لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143]، لنمضي بعدها إلى قول الله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ، كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيها، فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ، وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ، وَأُولئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً﴾ [النّساء: 91]، حيث يسوق لنا سيّد عند تفسيره للآية أروع الأمثلة العمليّة عن الوسطيّة والتوازن في الجهاد الإسلامي فيقول: " فأما حين يجيء المتشدّدون فيأخذون الأمر كلّه عنفاً وحماسة وشدّة واندفاعاً فليس هذا هو الإسلام! وأما حين يجيء المتميّعون المترقّقون المعتذرون عن الجهاد في الإسلام،كأنّ الإسلام في قفص الاتهام وهم يترافعون عن المتّهم الفاتك الخطير! فيجعلون الأمر كلّه سماحة وسلماً وإغضاء وعفواً، ومجرّد دفاع عن الوطن الإسلامي وعن جماعة المسلمين –وليس دفعاً عن حريّة الدّعوة وإبلاغها لكل زاوية في الأرض بلا عقبة، وليس تأميناً لأيّ فرد في كلّ زاوية من زوايا الأرض يريد أن يختار الإسلام عقيدة، وليس سيادة لنظام فاضل وقانون فاضل يأمن النّاس كلّهم في ظلّه، من اختار عقيدته ومن لم يخترها سواء، فأما حينئذ فليس هذا هو الإسلام[80]".

المطلب الخامس: التصوّر الإيجابي للحياة

والمقوم الخامس من مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي من خلال تفسير الظّلال هي الإيجابيّة في الحياة كلّها، وهذه الإيجابيّة مصدرها العقيدة كذلك، يعلّمنا الإسلام أنّ وجود المسلم على الأرض ليس عبثاً، وإنّما وجوده فيها يقتضيه دوراً إيجابيّاً في خلافة الأرض لتطبيق شريعة الله في حياته وفق منهج الله المرسوم في

---

78 **المصدر نفسه**، ج1، البقرة، ص 131.

79 سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، البقرة، ص 131.

80 **المصدر نفسه**، ج2، النّساء، ص 734.

كتابه وفي سنّة نبيّه ﷺ، وتطبيق هذا المنهج الربّاني مرهون باتخاذ كلّ الوسائل المشروعة شرعاً وعُرفاً وديانة لتطبيق هذا المنهج في حياته وفي حياة غيره، لأجل ذلك شرع الله الجهاد -بمفهومه الواسع- في سبيله لدفع الفساد عن هذه الأرض التي استخلفنا فيها، مع العلم أنّ خلافة الله في أرضه طريق مملوء بالأشواك لذلك أمرنا الله في كتابه بالصّبر على البلاء، والرّضا بقضاء الله وقدره، والاستعانة بالله والتوكّل عليه في قضاء الحاجات ونحو ذلك من الإيحاءات القرآنية التي تحثّنا على التفكير الإيجابي في مواجهة كلّ الصّعوبات التي تقف حجر عثرة أمام تطبيق منهج الله في الحياة، يقول الأستاذ سيّد قطب عن هذه الإيجابية: " يستشعر المسلم أن وجوده على الأرض ليس فلتة عابرة، إنّما هو قدر مقدور، مرسوم له طريقه ووجهته وغاية وجوده، وأن وجوده على الأرض يقتضيه حركة وعملاً إيجابيّاً، فى ذات نفسه، وفى الآخرين من حوله، وفى هذه الأرض التى هو مستخلف فيها، وفى هذا الكون المحسوب حسابه فى تصميمه، وأنّه لا يبلغ شكر نعمة الله عليه بالوجود، ونعمه الله عليه بالإيمان، ولا يطمع فى النّجاة من حساب الله وعذابه، إلاّ بأن يؤدّى دوره الإيجابى فى خلافة الأرض، وفق شرط الله ومنهجه، وتطبيق هذا المنهج فى حياته وفى حياة غيره، والجهاد لدفع الفساد عن هذه الأرض التى هو قيّم عليها، والفساد فى الأرض إنّما ينشأ عن عدم تطبيق منهج الله فى عالم الواقع، ودنيا النّاس، وحياة الجماعات، وأنّ وزر هذا الفساد —حين يقع— واقع على عاتقه هو، ما لم يؤدّ الشهادة لله فى نفسه، وفى غيره، وفى الأرض كلّها من حوله[81]"، ننتقل الآن إلى ظلال القرآن لنقف برهة عند قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ، وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 3-4]، يرى سيّد قطب أنّ السّمة الأولى للمتقين هي الشعورية الإيجابية الفعّالة، الوحدة التي تجمع في نفوسهم بين الإيمان بالغيب، والقيام بالفرائض، والإيمان بالرّسل كافّة، واليقين بعد ذلك بالآخرة، هذا التكامل الذي تمتاز به العقيدة الإسلامية، وتمتاز به النّفس المؤمنة بهذه العقيدة، والجدير بأن تكون عليه العقيدة الأخيرة التي جائت ليلتقي عليها النّاس جميعاً، ولتهيمن على البشرية جميعاً، وليعيش النّاس في ظلالها بمشاعرهم، وبمنهج حياتهم حياة متكاملة، وشاملة للشّعور والعمل، والإيمان والنّظام[82]، وفي ختام هذا المقوّم الخامس نفهم أنّ العقيدة الإسلامية هي المحرّك الأوّل، والمؤثّر الحيّ، والباعث الأساسي لهذه الإيجابيّة التي تحدّثنا عنها، وبالإسلام الصّحيح تصبح حياة المسلم كلّها إيجابيّة بالنّظر إلى نوافذه الثلاث:

النّافذة الأولى: علاقة المسلم مع خالقه تقوم على توحيد الألوهيّة، وتوحيد الرّبوبيّة، وتوحيد القوامة، وتوحيد الحاكميّة، وتوحيد مصدر الشّريعة، وتوحيد منهج الحياة، وتوحيد الجهة التي يدين لها الناس الدّينونة

---

[81] سيّد قطب، **خصائص التصوّر الإسلامي ومقوّماته**، ص 162.

[82] سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، البقرة، ص 39.

الشّاملة، قال سيّد: " إنه من توحيد الله سبحانه وإفراده بالألوهيّة تبدأ خطوات المنهج الرباني سواء في تربية النّفوس أم في إقامة المجتمع ووضع شرائعه وتنظيمه، وسواء كانت هذه الشّرائع متعلّقة بالنّظام الداخلي للمجتمع المسلم، أم بالنّظام الدّولي، الذي يتعامل هذا المجتمع على أساسه مع المجتمعات الأخرى[83]".

النّافذة الثانيّة: علاقة المسلم مع نفسه تقوم بتطبيق المنهج الرّبّاني في حياته كلّها، فينطق بالشّهادتين ويؤدّي حقوقهما، ويقيم الصّلوات، ويؤتي الزّكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت إن استطاع، ويحلّ الحلال، ويحرّم الحرام.

النّافذة الثّالثة: علاقة المسلم مع المسلمين وغير المسلمين تقوم بتطبيق المنهج الرّباني في حياته وحياة غيره من المسلمين سواء كانوا تحت رعايته أم تحت رعاية غيره، والتعامل معهم يكون على أساس هذا المنهج الرّبّاني الذي يحكم بين النّاس بالقسط والعدل، فيحبّ في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله، ويعادي في الله، ويعطي لله، ويمنع لله، وهذا الحبّ والبغض والموالاة والمعادة والمنع والعطاء قائم على وشائج العقيدة، وليس على روابط القوميّة، أو الجنس والقرابة، أو المصالح الدّنيوية؛ أمّا علاقة المسلم مع غير المسلمين الأفراد أو الجماعات فهي قائمة على مبدأ السّلم مع المسالمين، ومبدأ دفع فساد المفسدين ومغالطة المغالطين، والتّعامل معهم في حدود الشّريعة الإسلاميّة دون تشدّد ولا تميّع، وهكذا أيضاً يكون تعامل الدّولة المسلمة مع الدّولة الكافرة، فهي إمّا المحارَبة أو المهادَنة مع الدّولة المحارِبة أو المهادِنة، وإمّا المحالَفة أو المحايَدة مع الدّولة المحالِفة أو المحايِدة.

المطلب السادس: الواقعيّة الحركيّة

والمقوّم السّادس من مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي من خلال تفسير الظّلال هو الواقعيّة الحركيّة، فهو يتعامل مع واقعيات الحياة اليوميّة التي تواجه المسلمين تعاملاً واقعّاً وحركيّاً، لا مع مثاليّات لا وجود لها في عالم الواقع، فالإسلام جاء بعقيدة واقعيّة، لأنّها تخاطب العقل، وبعبادات واقعية، لأنّها تربّي البشر، وبأخلاق واقعية، لأنّها تهذّب النّفس، وبشريعة واقعية، لأنّها لم تغفل الواقع في كل ما أحلّت وحرّمت، وشرّعت وقنّنت، يصف سيّد قطب حقيقة هذا الدّين ووظيفته بأنّه: "حركة منهجيّة واقعية، تتّجه إلى إنشاء واقع في الأرض، وفق التصوّر الإسلامي الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصوّرات التي تعرفها البشريّة وتصطدم –من ثمّ– بالتصوّرات والأوضاع المخالفة، كما تصطدم بشهوات النّاس وانحرافهم وفسوقهم عن منهج الله، وتدخل في معركة لا حيلة فيها، ولا بدّ منها، لإنشاء ذلك الواقع الجديد الذي تريده، وتتحرّك إليه حركة إيجابيّة فاعلة منشئة[84]"، في هذا النّص التفسيري يؤكّد سيّد على ضرورة التحرّك بهذا الدّين

---

[83] انظر: **المصدر نفسه**، ج2، النّساء، ص 728.

[84] انظر: سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، المائدة، ص 909.

انطلاقاً من الواقع المحيط به، إذ لا يمكن أبداً التحرّك بهذا الدّين انطلاقاً من واقع لا وجود له في حياة النّاس، ويرى سيّد قطب –كما سيأتي– أنّ تغيير الواقع البشري النّكد يجب أن يُواجه بوسائل مكافئة، فهو لا يقابل الواقع بنظريّات مجرّدة، ووسائل متجمّدة، يقول عن ذلك: "هي الواقعية الجدّيّة في منهج هذا الدّين، فهو حركة تواجه واقعاً بشريّاً، وتواجهه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي، إنّها تواجه جاهليّة اعتقاديّة تصوّريّة، تقوم عليها أنظمة واقعيّة عمليّة، تسندها سلطات ذات قوّة ماديّة، ومن ثمّ تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كلّه بما يكافئه، تواجهه بالدّعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصوّرات، وتواجهه بالقوّة والجهاد لإزالة الأنظمة والسّلطات القائمة عليها، تلك التي تحول بين جمهرة النّاس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصوّرات، وتخضعهم بالقهر والتّضليل وتعبّدهم لغير ربّهم الجليل[85]"، ويقول أيضاً: " هي الواقعيّة الحركيّة، فهو حركة ذات مراحل، كلّ مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، وكلّ مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها، فهو لا يقابل الواقع بنظريّات مجرّدة، كما أنّه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمّدة[86]"، وعن التجديد في الوسائل لمواجهة تحديّات الجاهليّة كما أسلفنا في الفقرة السّابقة، يرى سيّد قطب أنّ ذلك لا يخرج الدّين عن قواعده المحدّدة، ولا عن أهدافه المرسومة، إذ لا مساومة في هذه القواعد والأهداف[87]، وحول واقعيّة الإسلام في نظرته للحياة والتعامل معها، يقول الأستاذ سيد قطب في خصائص التصوّر الإسلامي: "إنّ الإسلام دين للواقع، دين للحياة، دين للحركة، دين للعمل والنّتاج والنّماء، دين تطابق تكاليفه فطرة هذا الإنسان، بحيث تعمل جميع الطّاقات الإنسانيّة عملها الذي خلقت من أجله، وفي الوقت ذاته يبلغ الإنسان أقصى كماله البشري المقدّر له عن طريق العمل والحركة وتلبيّة الطّاقات والأشواق، لا كبتها أو كفّها عن العمل، ولا إهدار قيمتها واستقذار دوافعها[88]".

المطلب السابع: عالميّة الإسلام

إنّ اتّصاف الإسلام بالواقعيّة والحركيّة في مواجهة ومقابلة الوقائع البشريّة وفق التصوّر الإسلامي الذي يختلف تماماً عن سائر التصوّرات الأرضيّة، يؤهّله لأن يكون رسالة عالميّة موجّهة إلى كلّ إنسان على وجه هذه المعمورة، وكما يوضّح سيّد قطب: "إنّ هذا الدّين ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي! وليس رسالة خاصة بالعرب! إنّ موضوعه هو الإنسان، ومجاله هو الأرض، إن الله سبحانه ليس ربّاً للعرب وحدهم، ولا

---

[85] انظر: سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، الأنفال، ص 1432.

[86] انظر: **المصدر نفسه**، ج3، الأنفال، ص 1432.

[87] انظر: **المصدر نفسه**، ج3، الأنفال، ص 1433.

[88] سيّد قطب، **خصائص التصوّر الإسلامي ومقوّماته**، ص 180.

حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم، إنّ الله هو ربّ العالمين، وهذا الدّين يريد أن يردّ العالمين إلى ربّهم، وأن ينتزعهم من العبوديّة لغيره[89]"، ويوضّح أيضاً في مطلع تفسير سورة الرّوم: "وفي ظلّ ذلك التصوّر المرتفع الواسع الشّامل تتكشف عالمية هذه الدّعوة وارتباطها بأوضاع العالم كلّه من حولها، ويتّسع مجالها فلا تعود مرتبطة بهذه الأرض وحدها، إنّما هي مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونواميسه الكبرى، وفطرة النّفس البشريّة وأطوارها، وماضي هذه البشريّة ومستقبلها، لا على هذه الأرض وحدها، ولكن كذلك في العالم الآخر الوثيق الصلة بها والارتباط، وكذلك يرتبط قلب المسلم بتلك الآفاق والآماد ويتكيّف على ضوئها شعوره وتصوّره للحياة والقيم، ويتطلّع إلى السّماء والآخرة، ويتلفّت حواليه على العجائب والأسرار، وخلفه وقدّامه على الحوادث والمصائر، ويدرك موقفه هو وموقف أمّته في ذلك الخضمّ الهائل، ويعرف قيمته هو وقيمة عقيدته في حساب النّاس وحساب الله، فيؤدي حينئذ دوره على بصيرة، وينهض بتكاليفه في ثقة وطمأنينة واهتمام[90]".

المطلب الثامن: ربّانيّة الأخلاق

والمقوّم الثّامن من مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي في تفسير الظّلال هو ربّانيّة الأخلاق، إنّ عالميّة الإسلام اقتضت أن يكون أساس التعامل بين البشر جميعاً مسلمهم وكافرهم، وعجميّهم وعربيّمهم، وذكرهم وأنثاهم، وصغيرهم وكبيرهم، مرتبط بخلق التّقوى وليس مرتبط بمسألة المصالح الدّنيوية وما شابه ذلك، وهذا تماماً ما أكدته السنة الصحيحة فيما رواه الإمام التّرمذي عن أبي ذرّ جندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن معاذ بِن جبل رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السّيّئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن[91]"، فيلحظ في الحديث أنّ التّعامل هو أوّلاً تعامل مع الله بمراقبته، وطلب رضاه وتجنّب سخطه، وعلى أساس هذه القاعدة الأخلاقية يكون تعامل المسلم مع نفسه وغيره من البشر، في ظلال قول الله تعالى: ﴿بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَاتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ.إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا،أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ،وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ،وَلا يُزَكِّيهِمْ.وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 76-77]، يقول سيّد: " فالباعث الأخلاقي ليس هو المصلحة، وليس هو عرف الجماعة، ولا مقتضيات ظروفها القائمة، فإنّ الجماعة قد تضلّ وتنحرف، وتروج فيها المقاييس الباطلة، فلا بدّ من مقياس ثابت ترجع إليه الجماعة كما يرجع إليه الفرد على السّواء، ولا بدّ أن يكون لهذا المقياس فوق ثباته قوّة يستمدّها من جهة أعلى، أعلى من اصطلاح النّاس، ومن مقتضيات حياتهم المتغيّرة،

---

89 سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، الأنفال، ص 1434.

90 **المصدر نفسه**، ج5، الرّوم، ص 2755.

91 الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب الزّهد، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم 1987، ج 4، ص 125.

ومن ثمّ ينبغي أن تستمدّ القيم والمقاييس من الله بمعرفة ما يرضيه من الأخلاق، والتطلّع إلى رضاه، والشّعور بتقواه، بهذا يضمن الإسلام تطلّع البشريّة الدّائم إلى أفق أعلى من الأرض، واستمدادها القيم والموازين من ذلك الأفق الثابت السامق الوضيء[92]".

المطلب التاسع: القضاء الحاسم في مسائل الاعتقاد، والتدرّج في معالجة الانحرافات السّلوكيّة

يشير سيّد إلى "منهج هذا القرآن العجيب، وهو يأخذ بيد الفطرة الإنسانية خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة ويصعد بها –في هينة ورفق، وفي حيويّة كذلك وحرارة، وفي وضوح وعلى بصيرة– درجات السّلّم في المرتقى الصّاعد، إلى القمّة السامقة، في المعرفة والرّؤية، وفي الانفعال والاستجابة، وفي التكيّف والاستقامة، وفي اليقين والثقة، وفي الرّاحة والطمأنينة، إلى حقائق هذا الوجود الصّغيرة والكبيرة[93]"، في ظلال قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ، وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما﴾ [البقرة: 219]، يتحدّث سيد قطب عن قاعدة من قواعد منهج التربية الإسلامية القرآنية بمناسبة الحديث عن آية الخمر والميسر، القاعدة هي قاعدة التدرّج والتريّث في معالجة السلوكيّات المنحرفة، والحسم الجازم في مسائل الاعتقاد، يقول سيّد: " عندما يتعلّق الأمر أو النّهي بقاعدة من قواعد التصوّر الإيماني، أي بمسألة اعتقادية، فإنّ الإسلام يقضي فيها قضاءً حاسماً منذ اللّحظة الأولى، ولكن عند ما يتعلّق الأمر أو النّهي بعادة وتقليد، أو بوضع اجتماعي معقّد، فإنّ الإسلام يتريّث به، ويأخذ المسألة باليسر والرّفق والتدرّج، ويهيّئ الظّروف الواقعية التي تيسّر التّنفيذ والطّاعة[94]"، ويذكر سيّد مثالاً توضيحيّاً لهذه القاعدة الأساسيّة فيقول: " فعندما كانت المسألة مسألة التّوحيد أو الشّرك: أمضى أمره منذ اللّحظة الأولى، في ضربة حازمة جازمة، لا تردّد فيها ولا تلفّت، ولا مجاملة فيها ولا مساومة، ولا لقاء في منتصف الطّريق، لأنّ المسألة هنا مسألة قاعدة أساسيّة للتصوّر،لا يصلح بدونها إيمان ولا يقام إسلام؛ فأمّا في الخمر والميسر فقد كان الأمر أمر عادة وإلف، والعادة تحتاج إلى علاج، فبدأ بتحريك الوجدان الدّيني، والمنطق التشريعي في نفوس المسلمين، بأنّ الإثم في الخمر والميسر أكبر من النّفع، وفي هذا إيحاء بأن تركهما هو الأولى، ثمّ جاءت الخطوة الثانية بآية سورة النساء: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43]، والصّلاة في خمسة أوقات، معظمها متقارب، لا يكفي ما بينها للسّكر والإفاقة! وفي هذا تضييق لفرص المزاولة العملية لعادة الشّرب، وكسر لعادة الإدمان التي تتعلّق بمواعيد التّعاطي، إذ المعروف أنّ المدمن يشعر بالحاجة إلى ما أدمن عليه من مسكر أو مخدّر في الموعد الذي اعتاد تناوله، فإذا

---

92 سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، آل عمران، ص 418.

93 **المصدر نفسه**، ج3، الأعراف، ص 1422.

94 سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، البقرة، ص 229.

تجاوز هذا الوقت وتكرّر هذا التجاوز فترت حدّة العادة وأمكن التّغلّب عليها، حتى إذا تمّت هاتان الخطوتان جاء النّهي الحازم الأخير بتحريم الخمر والميسر: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90][95]".

المطلب العاشر: تربية وعي المسلم بحقيقة الأعداء

يشير سيّد قطب إلى طريقة المنهج القرآني في تربية "وعي المسلم بحقيقة أعدائه، وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم ويخوضونها معه، إنّها معركة العقيدة، فالعقيدة هي القضيّة القائمة بين المسلم وكلّ أعدائه، وهم يعادونه لعقيدته ودينه، قبل أيّ شيء آخر، وهم يعادونه هذا العداء الذي لا يهدأ لأنّهم هم فاسقون عن دين الله، ومن ثمّ يكرهون كلّ من يستقيم على دين الله[96]"، وبما أنّ شنآن الأعداء مرتبط بعقيدة التّوحيد، فإنّ هناك أمرين مهمّين في تحقيق شرائط هذه العقيدة، وهما:

أوّلاً: إعلان المفاصلة الكاملة بين المؤمنين الذين يحلمون راية التوحيد وبين المعسكرات التي لا ترفع رايتهم.

ثانياً: إعلان الولاء الكامل لله ولرسوله وللقيادة المؤمنة.

يقول سيّد عن هذا: "أمران مهمّان سواء في تحقيق شرائط الإيمان أو في التربية الشّخصية للمسلم، أو في التّنظيم الحركي للجماعة المسلمة، فالذين يحملون راية هذه العقيدة لا يكونون مؤمنين بها أصلاً، ولا يكونون في ذواتهم شيئاً، ولا يحقّقون في واقع الأرض أمراً ما لم تتمّ في نفوسهم المفاصلة الكاملة بينهم وبين سائر المعسكرات التي لا ترفع رايتهم، وما لم يتمحّض ولاؤهم لله ورسوله ولقيادتهم الخاصة المؤمنة به، وما لم يعرفوا طبيعة أعدائهم وبواعثهم وطبيعة المعركة التي يخوضونها معهم، وما لم يستيقنوا أنهم جميعاً إلبٌ عليهم، وأنّ بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة والعقيدة الإسلامية على السّواء[97]"، والمفاصلة الكاملة التي قصدها سيّد قطب لا تُنهِي السّماحة الخلقية التي هي صفة المسلم دائماً، وإنّما تُنهِي الولاء لهم بمعنى التّناصر والتّحالف معهم الذي لا يكون إلا لله ورسوله والذين ءامنوا، يقول سيّد قطب: " ونزل القرآن ليبثّ الوعي اللّازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته، لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة، ولينشئ في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة، ولا يقف تحت رايتها الخاصة، المفاصلة التي لا تنهي السّماحة الخلقيّة، فهذه صفة المسلم دائماً، ولكنّها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلاّ لله ورسوله والذين آمنوا، الوعي والمفاصلة اللّذان لا بدّ منهما للمسلم في كل

---

[95] **المصدر نفسه**، ج1، البقرة، ص 229.

[96] سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، المائدة، ص 908.

[97] **المصدر نفسه**، ج2، المائدة، ص 908.

أرض وفي كل جيل[98]"، ويعلّل سيّد قطب موقف القرآن الصّريح الجازم في نهي المسلم عن موالاة أهل الكتاب بقوله: "وإنّ طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرّد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب، ومهما أبدى لهم من السّماحة والمودّة فإنّ هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه، ولن يكفّهم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له[99]"، ويمثّل سيّد قطب لطبيعة أهل الكتاب في حربهم الجماعة المسلمة والعقيدة الإسلامية على السّواء بأمثلة تاريخية قديمة وحديثة، يقول سيّد: "وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألبّوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة، وكانوا لهم درعاً وردءاً، وأهل الكتاب هم الذين شنّوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شرّدوا العرب المسلمين في فلسطين، وأحلّوا اليهود محلّهم، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية! وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشرّدون المسلمين في كل مكان، في الحبشة والصّومال واريتريا والجزائر، ويتعاونون في هذا التّشريد مع الإلحاد والماديّة والوثنيّة، في يوغسلافيا والصّين والتّركستان والهند، وفي كلّ مكان! ثم يظهر بيننا من يظنّ – في بعد كامل عن تقريرات القرآن الجازمة– أنّه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر ندفع به الماديّة الإلحاديّة عن الدّين! إنّ هؤلاء لا يقرأون القرآن، وإذا قرأوه اختلطت عليهم دعوة السّماحة التي هي طابع الإسلام فظنّوها دعوة الولاء الذي يحذّر منه القرآن، إنّ هؤلاء لا يعيش الإسلام في حسّهم، لا بوصفه عقيدة لا يقبل الله من النّاس غيرها، ولا بوصفه حركة إيجابيّه تستهدف إنشاء واقع جديد في الأرض تقف في وجه عداوات أهل الكتاب اليوم، كما وقفت له بالأمس، الموقف الذي لا يمكن تبديله، لأنه الموقف الطّبيعي الوحيد! وندع هؤلاء في إغفالهم أو غفلتهم عن التوجيه القرآني، لنعي نحن هذا التوجيه القرآني الصريح: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ.إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51][100]".

هذا ولاحظنا خلال هذه الدراسة أنّ سيّد قطب قد أفسح مجالاً واسعاً لقسم العقيدة، وأنّه ما مسألة أساسية لها علاقة ما بالموضوع إلاّ وأبدى فيها رأيه من خلال تفسيره لهذا المقطع أو ذاك، ولهذه الآية وتلك ليجعلها هي الأساس في أيّ انطلاق أو قرار وفي الحسم في أيّ قضيّة، ويؤكّد هذه الرّؤية سيّد نفسه عندما يقول: "إنّ حدود العقيدة تتّسع وتترامى حتى تتناول كلّ جانب من جوانب الحياة، وقضيّة الحاكميّة بكلّ فروعها في الإسلام هي قضية عقيدة، كما أنّ قضيّة الأخلاق بجملتها هي قضية عقيدة، فمن العقيدة ينبثق

---

98 سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، المائدة، ص 911.

99 **المصدر نفسه**، ج2، المائدة، ص 910.

100 سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، المائدة، ص 910.

منهج الحياة الذي يشتمل الأخلاق والقيم، كما يشتمل الأوضاع والشّرائع سواء بسواء"[101]، إذن فالعقيدة عند سيّد هي قطب الرّحى الذي يدور حوله منهج الحياة الشّامل للأخلاق والقيم والأوضاع والشّرائع، ولعلّ السبب في إعطاء الأستاذ سيّد لقسم العقيدة مساحة كبيرة من الاهتمام في كتاباته يرجع في تقديري إلى أنّ المعركة بين الأمّة المسلمة وبين أعدائها هي قبل كلّ شيء معركة عقيدة، حيث يحاول أعداؤها أن يغلبوها على العقيدة، لأنّهم يعلمون بالتجارب الطّويلة أنّ الأمّة المسلمة لا تنهزم أمام القوى العالميّة المحاربة طالما هي مستمسكة بعقيدتها، وملتزمة بمنهجها، يقول سيّد قطب عن هذه السّبب: "إنّ المعركة بين الأمّة المسلمة وبين أعدائها هي قبل كلّ شيء معركة هذه العقيدة، وحتّى حين يريد أعداؤها أن يغلبوها على الأرض والمحصولات والاقتصاد والخامات، فإنّهم يحاولون أوّلاً أن يغلبوها على العقيدة، لأنّهم يعلمون بالتّجارب الطّويلة أنّهم لا يبلغون ممّا يريدون شيئاً والأمّة المسلمة مستمسكة بعقيدتها، ملتزمة بمنهجها، مدركة لكيد أعدائها، ومن ثمّ يبذل هؤلاء الأعداء وعملاؤهم جهد الجبّارين في خداع هذه الأمّة عن حقيقة المعركة، ليفوزوا منها بعد ذلك بكلّ ما يريدون من استعمار واستغلال، وهم آمنون من عزمة العقيدة في الصّدور! وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة، والتّشكيك فيها، والتّوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقيّة الجديدة، ولكن لنفس الغاية القديمة ﴿وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: 69]"[102].

---

[101] انظر: **المصدر نفسه**، ج4، سورة ابراهيم، ص2114.

[102] انظر: **المصدر نفسه**، ج1، سورة آل عمران، ص354.

الخاتمة: النتائج

1. إنّ المراد بمقوّمات خطاب التغيير الإسلامي هو: الكلام المستقيم الموجه إلى النّاس المنضبط في كلّ أموره بضوابط الشرع الحنيف قصد تغيير أحوال المخاطَبين بإحلال تصوّرات الإسلام وقيمه ومثله وآدابه وأحكامه مكان التصوّرات الخاطئة حول الإسلام السّائدة اليوم في كلّ مكان.

2. إنّ مفهوم خطاب التغيير الإسلامي عند سيد قطب من خلال تفسير الظّلال يقوم على أساس العقيدة في الله التي منها تنبثق كلّ التشريعات والتوجيهات الربّانية.

3. لقد تجسدت مقوّمات خطاب التغيير الإسلامي في تفسير الظلال من خلال المبادئ الآتية: العقيدة ينبوع كل التصوّرات، وثبات الشريعة الإسلامية واستمرارها، والإسلام منهج حياة شامل ومتكامل، والوسطية والتوازن، والتصوّر الإيجابي للحياة، والواقعيّة الحركيّة، وعالميّة الإسلام، وربّانيّة الأخلاق، والقضاء الحاسم في مسائل الاعتقاد والتدرّج في معالجة الانحرافات السّلوكيّة، وتربية وعي المسلم بحقيقة الأعداء.

4. هذا وإنّه بالامتثال لمقوّمات خطاب التغيير الإسلامي التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، يمكننا تأطير خطاب التغيير الإسلامي لكيلا يخرج عن مساره الإسلامي الصحيح وخصوصاً في وقتنا الرّاهن الذي يشهد انفتاحاً على العالم، وتداخلاً بين الثقافات، وتبادلاً للمعلومات في سائر المجالات، إذن فبالتوحيد، والثبات، والشمولية، والوسطية، والإيجابية، والواقعية، والعالمية، والربانية، والمرونة، والوعي، سنسهم في ترشيد خطاب التغيير الإسلامي وتسديده مساره، وتحسين صورته حتى لا يفقد المسلمون الثقة بموروثهم الإسلامي والحضاري من جهة، وحتى لا يضرب الإسلام من الخارج بتهمة الإرهاب والعداء للإنسانية من جهة أخرى. وإنّ ما ذكر من المقوّمات إذا تخلّف منها شيء كان ذلك سبباً في سقوط خطاب التغيير الإسلامي في مزالق وانحرافات خطيرة قد رأينا آثارها الوخيمة في وقتنا الحاضر، والله نسأل أن يوفقنا لتسديد خطاب التغيير الإسلامي وإزالة اعوجاجه ليكون خطاباً مستقيماً، معتدلاً، حكيماً، منضبطاً في كل أموره.

اللهم هذا الجهد، وعليك التّكلان، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيراً.

المصادر والمراجع

- أحمد، ابن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2002م).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، (القاهرة: دار الحديث، ط10، 1999م).
- الجرجاني، علي بن محمد، **كتاب التعريفات**، (بيروت:دار الكتب العلمية، ط1، 1983م).
- جمعة أمين، **ظروف النشأة وشخصية الإمام المؤسس**، (مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 2003م).
- حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، (قطر: كتاب الأمة، ط1، 1984م).
- الخالدي، عبد الفتاح، **المنهج الحركي في ظلال القرآن**، (عمان: دار عمار، ط2، 2000م).
- ـــــــــــــــ، **سيد قطب: الأديب الناقد، والداعية المجاهد، والمفكر المفسر الراشد**، (دمشق: دار القلم، ط1، 2000م).
- ـــــــــــــــ، **مدخل إلى ظلال القرآن**، (عمان: دار عمار، ط2، 2000م).
- أبو دف، محمود خليل، **معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن**، (غزة: الجامعة الإسلامية، 2002م).
- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م).
- سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، (بيروت: دار الشّروق، ط8، 1983م).
- ـــــــــ، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ط1، 1953م).
- ـــــــــ، **معالم في الطريق**، (القاهرة: دار الشروق، د.ط، 1980م).
- صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب الشهيد الحي**، (الأردن: مكتبة الأقصى، ط2، 1985م).
- عمار الطالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1968م).
- الطبري، ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (مصر: دار هجر، ط1، 2001م).
- ابن عاشور، الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: دار التونسية، د.ط، 1984م).
- عزّام، عبد الله، **سيّد قطب والقول بوحدة الوجود**، مجلة المجتمع، (الكويت: جمعية الاصلاح الاجتماعي)، س11، ع 526، أفريل 1981م.

- علي خليل أبو العينين، **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، 1985م).
- أبو فارس، محمد عبد القادر، **منهج التغيير عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب**، (عمان: دار البشير، د.ط، 1999م).
- القاسمي، جمال الدّين، **تفسير القاسمي**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م).
- القرطبي، أبو عبد الله، **الجامع لأحكام القرآن**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964م).
- القرضاوي، يوسف، **الإخوان المسلمون سبعين عاما في الدعوة والتربية والجهاد**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1999م).
- ـــــــــــــ، **الخصائص العامة للإسلام**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط4، 1989م).
- القيق، وجيه صبح محمود، **معالم الفكر التربوي لدى سيد قطب من خلال كتاباته**، (غزة: الجامعة الإسلامية، 2006م).
- الكفوي، أبو البقاء، **الكليات**، (بيروت: الرسالة، ط2، 1993م).
- مجموعة من الأساتذة، **الموسوعة العربية العالمية**، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط1، 1996م).
- محمد بهيّ، **الفكر الإسلامي الحديث**، (بيروت: دار المعارف، ط10، 1982م).
- محمد، مسعود البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (السعودية: دار طيبة، ط4، 1997م).
- مسعود، جبران، **الرائد معجم لغوي عصري**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط5، 1987م).
- مسلم، أبو الحسن، **صحيح مسلم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
- ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، د.ت).
- منير، وليد، **النص القرآني من الجملة إلى العالم**، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997م).
- ابن نبي، مالك، **وجهة العالم الإسلامي**، (دمشق: دار الفكر، ط5، 1986م).
- ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 2001م).
- شبكة أنا مسلم للحوار الإسلامي: www.muslm.org/vb/showthread.php?455357- بتاريخ 2014/01/07.
- موقع الدّين الخالص: http://aldeenelkhles.blogspot.com/2013/04/blog-post_11.html بتاريخ 2014/01/07.